قراءة في فلسفة التاريخ عند فولتير

حمزة عبدالسلام زويد*

تاريخ التقديم: 2023/02/13 تاريخ القبول: 2023/05/21 نُشر إلكترونيا بتاريخ: 2023/06/18

المستخلص:

تهدف الورقة لإلقاء الضوء على مرحلة من مراحل تطور الفكر التاريخي وهي انتقال التفكير من الميتافيزيقيا وسيطرة رجال الكنيسة على الفكر إلى إسقاط كل مطلق ونقده، وكان من أبرز رجال الفكر الذين حملوا لواء المواجهة هو فولتير، فكانت فلسفته منهجا جديدا أنتج العقلانية التي أرجعت كل شيء لعقل الإنسان، وأضحى المؤرخ العقلاني مرحلة متقدمة في تفسير التاريخ، واتبع الباحث المنهج التاريخي القائم على السرد والنقد والتحليل، وخلصت الدراسة إلى أن فولتير قد تأثر بعدة عوامل جعلته يحمل لواء المواجهة والتحديث؛ من بينها الحرية في انجلترا، وقد نادى بأن التاريخ الصحيح هو التاريخ العلمي وأن منهج البحث التاريخي يجب أن يقوم على تمحيص المصادر الأصلية ونقدها، ودراسة التاريخ من خلال السجلات المكتوبة الباقية، والآثار والتي كانت أصدق مادة لصنع تاريخ.

الكلمات المفتاحية: فلسفة التاريخ، فولتير، العقلانية، التاريخ الحديث

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهِ، أما بعد:

فقد مر التاريخ عبر مراحل تطوره بعدة أطوار، إلى أن كانت النهضة الأوربية مصدرا لصيغة جديدة من التاريخ، فكانت هي بداية عصر الحداثة في أوربا والتحول من النظام الفيودالي* إلى العصر الحديث الرأسمالي، ومن سلطة الكنيسة والحقائق المطلقة إلى سلطة العقل والإبداع، فكانت الإنسانوية التي تمثل ثورة ثقافية في حوالي القرنين الخامس عشر والسادس عشر أنتجت المؤرخ الإنسانوي كنتيجة لتطور الفكر التاريخي وانتقل التفكير من الميتافيزيقيا إلى الإنسان وكل ما هو إنسانوي، وأضحت فلسفة التاريخ من المباحث المهمة في

* كلية الآداب-الجامعة الأسمرية h.zaweid@asmarya.edu.ly .

* الفيودالية هي مجموعة الأنظمة السياسية والقانونية التي سادت أوربا الغربية منذ القرن التاسع وحتى القرن الثالث عشر ،وهي تمثل نظم الحكم اللامركزية، ويعرفها الباحث الفرنسي مارك بلوك Marc Block بأنها نظام شامل تتركز فيه كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية في نظام السيادة، فالنظام الفيودالي ينظم العلاقة بين سيد حر وتابع حر في إطار الحقوق والواجبات ...للاستزادة : بهات عبدالله والمجيدري لحبيب، النظام الفيودالي: الخصائص والمميزات، جامعة ابن زهر، أغادير، 2004-2005.

الفلسفة والتاريخ الحديث، واستمرت حركة المثقفين تدك معاقل الفيودالية لإسقاط كل مطلق، فحملت أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر العديد من رجال الفكر الذين حملوا لواء المواجهة، وكانت فلسفتهم منهجا جديدا أنتج العقلانية التي أرجعت كل شيء لعقل الإنسان وكان المؤرخ العقلاني مرحلة متقدمة في تفسير التاريخ.

كان فولتير من أبرز رجال القرنين السابع عشر والثامن عشر، له كتاباته وأفكاره وفلسفته الخاصة، تأثر بعدة عوامل جعلته يحمل لواء المواجهة والتحديث؛ من بينها الحرية في انجلترا، فكانت لندن مصدر إلهام له.

من هنا كان **سبب اختيار الموضوع** كونه يبين المنهج الذي اتبعه فولتير في تفسيره للتاريخ وأساليبه الفذة في النقد والتحرر، وتكمن **إشكالية الدراسة** كونها تبحث في الإجابة عن التساؤلات التالية:

من هو فولتير؟، "نشأته وتكوينه الثقافي والعلمي".

ماهي فلسفة التاريخ عند فولتير ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات كان الاعتماد على **المنهج التاريخي** القائم على السرد والنقد والتحليل للوصول إلى أكبر قدر من المعلومات.

وكانت **فرضية الدراسة** هي أن فولتير عاش في زمن تحرر الفكر، فكان له فلسفة خاصة في تفسير التاريخ وهي العقلانية.

وقد قسمت هذه الورقة البحثية إلى مقدمة، ثم المبحث الأول والذي ناقش **نشأة فولتير وتكوينه الثقافي والعلمي**. والمبحث الثاني والذي درس **فلسفة التاريخ عند فولتير**، ثم كانت **الخاتمة** التي تناولت أهم نتائج الدراسة.

أولا/ نشأة فولتير وأهم آرائه، أبرز مؤلفاته وأعماله:

ولد فولتير في شاتنيه* قرب باريس يوم 16 فبراير 1694م، في عهد لويس الرابع عشر حيث كانت السلطة ملكية مطلقة، واسمه الحقيقي هو فرنسوا ماري أرويه (Arouet)، أما اسم فولتير فهو اسم أرض صغيرة كانت تملكها أمه، كان والده يملك ثروة طائلة ويعمل في ديوان المحاسبات، أمّا والدته فهي تنحدر من عائلة من صغار النبلاء، فقد نشأ في أسرة بورجوازية، اهتم به والداه وفكرا بأن يدخلاه في سلك القضاء،

* شانتيه هي بلدية فرنسية تقع في إقليم واز،أوت دو فرانس شمال فرنسا.

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

واستفاد من أساتذته وأصدقائه وتعلم في كلية لويس لوغران الأدب الكلاسيكي والتاريخ والعلوم والفلسفة، وكان يدهش معلميه بفنه في الكتابة.[1]

تخرج فولتير سنة 1713م وقد دعاه والداه إلى الدخول عند محام، لكنه كان راغبا في الكتابة ونظم الشعر، ظهرت مواهبه الخارقة فأصبح يقصد الصالونات الارستقراطية حتى أصبح معروفا كمفكر وشاعر وأديب، وأراد أن يخلق لنفسه اسما كبيرا، فدخل المجتمع الأدبي بما فيه من مجون ، وقد أحس فولتير بالرضا والراحة لكن عائلته حاولت إخراجه من هذا الجو الخطر فأوفدته إلى هولندا، ووقع هناك في غرام ابنة مدام دي نوايّه وهي صاحبة مكائد، فاستدعاه والده وعاد به إلى باريس وقد استأنف نشاطه الشعري وأصبح يعرفه الناس بحريته ولسانه اللاذع، ويذكر أن فولتير اتجه فكره إلى وقائع حياة هنري الرابع وعصر لويس الرابع عشر[2].

استعمل فولتير ملكته في نقد الواقع وبدأت قصائده تنتقل خفية تنتقد حماقات وجرائم عصره، ومن نقده اللاذع حتى نُسبت له أُهجوّة عن الوصي على العرش الفرنسي فيليب الثاني دوق أورليان، فعوقب بالسجن في الباستيل وهو بعمر الثالثة والعشرين [3]، وقد سجن دون محاكمة من 1717 إلى 1718م، لكن فولتير كان محظوظا بعض الشيء، فقد وفر له وجود الورق والحبر والفراغ فرصة للكتابة، فقد كتب "مأساة أوديب" .[4]

بعد خروج أرويه من السجن عزم على تغيير اسمه إلى فولتير ومنحه الوصي على العرش ألفي دينار تعويضاً عمّا أصابه، فردّ فولتير قائلا: "...إني أشكر سموكم على اعتنائكم بتأمين طعامي ولكني أرجوكم أن لا تهتموا بإسكاني بعد الآن"، لكن ما أن خرج فولتير من سجنه حتى استأنف نشاطه الأدبي والاجتماعي وعرض مأساة أوديب بنجاح درامي وفلسفي كبير حتى أضحى جميع الناس يرددون البيتين:

كهنتهم ليسوا ما يظنه الناس الجهلة

فإن تصديقنا لهم هو أساس علمهم

وتداولت قصيدة المعاهدة في الصالونات، وفتحت أمام فولتير أبواب الأوساط المثقفة، وظل يعرض مسرحياته مما أدى إلى تحسن وضعه المادي، وقد أصيب بمرض الجذري سنة 1724 وشفي منه. لكنه عاد إلى سجن الباستيل من جديد إثر شجار جرى بينه وبين الشفاليه دي روهان سنة 1726م اصطدمت فيها سفاهة

1 أندريه كريسون، فولتير حياته وفلسفته، ترجمة صباح محي الدين،(عويدات، بيروت- باريس،1984)، ص11.

2 دونالد سترومبرج ، تاريخ الفكر الأوربي الحديث 1601-1977م، د ت،(دار القارئ العربي، القاهرة،1994) الطبعة الثالثة، ص 178.

3 – فولتير، رسائل فلسفية، ترجمة عادل زعيتر، بيروت، التنوير للطباعة والنشر، 2014م، ص 9.

4 – فولتير، أوديب أو السر الهائل، تعريب نجيب الحداد، الإسكندرية، جرجي غرزوزي،1905م.

الشفاليه بتهور فولتير، إلا أنه لم يبق في الباستيل إلا أسابيع قليلة أطلق بعدها سراحه شريطة الاغتراب، حيث فرض عليه أن يترك لا باريس فحسب بل فرنسا كلها.[1]

أسهم فولتير بطريقة نقده اللاذع والساخر في تفكيك ملامح الحياة الاجتماعية والثقافية عن طريق السخرية من المعتقدات المتعصبة وخاصة المذهب الكاثوليكي[2]، وكان من الطرق التي اتبعها عرضه للمسرحيات الناقدة والساخرة كان من بينها مسرحية أوديب سنة 1718م، وننقل منها خطاب الأمير فيلوكتيت للملك أوديب :" ... لوكان عدوك ملكاً يا مولاي لقاتلته تحت أمرك، ولكنه كاهن أشد هولاً من الملوك قد أهانك الآن، وهو معتمد على وحيه الباطل ... الشعب كله تحت أمره يصدقون ما يوحي إليه فلا يعودون يعتبرون الملوك ولا يحترمون الشرائع بل يزعمون بذلك أنهم يكرمون الآلهة ...".[3]

لقد هاجر فولتير إلى انجلترا وهو يعرف أنها بلد تحترم فيها الفنون وتكافأ، وأن فيها فروقا بين الطبقات دون فروق بين الناس، وأنها بلد يفكر فيه الناس بحرية ونبل دون خوف دنيء، يقول إنه إذا استقر بلندن ليس له رغبة سوى تعلم كيف يفكر. وبقى فولتير بلندن حتى سنة 1729م.

لقد أثرت لندن تأثيرا عظيما في حياة فولتير وتفكيره وتشهد على ذلك رسائله، فقد أحسن تعلم الانجليزية حديثا وكتابة، وأصبح فولتير انجليزي الميول، ويجدر بنا التعريف بالمذهب الربوبي الذي انتشر في انجلترا وأثر أيّما تأثير على ثقافة فولتير، وقد ظهر هذا المذهب ببروز طلائع النقد الجدي للكتاب المقدس في القرن السابع عشر، والربوبيون كما هو اسمهم يؤمنون بالله فقط، ويعتقدون بأنهم قادرون على إثبات وجوده بواسطة العقل ، فهم ليسوا ملحدين لكنهم شكاكين وقد برزوا في القرن الثامن عشر ذلك القرن الذي أنجب فولتير، وكان من أبرز نقاده الكاهن ريتشارد سيمون الذي أصدر كتابه المعروف بعنوان "التاريخ النقدي للعهد الجديد". وقد تساءل البعض هل يستطيع الإنسان بواسطة العقل وحده أن يبرهن على وجود الله؟ وأن يكتشف قوانين الأخلاق، فعندئذ أي نفع يمكن لنا أن نجنيه من تلك الأساطير اليهودية القديمة؟ وهكذا بدأت بعض

1 أندريه كريسون، المرجع نفسه، ص15.

2 – مريم بن عطا الله، التراث والتنوير في فلسفة فولتير، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2020-2021م، ص 2.

3 – فولتير، أوديب أو السر الهائل، مرجع سابق، ص 55.

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

الشخصيات الجريئة تطرح سرا هذه الآراء، وظهر الكثير الذين شعروا بأنه من الواجب على الدين المسيحي أن يتعادل على الأقل مع العقل العلمي الحديث.[1]

لقد زاد اتباع المذهب الربوبي بفضل الحرية الانجليزية من التوتر بين الدين والعلم، خاصة وأن القرن الثامن عشر كان عصرا كلاميا، فوسط الجدال بين اللاهوت والفلسفة المعقولة، نادى فريق بالتوفيق بين العقل والدين المسيحي، ونادت قلة بالتخلي عن المسيحية كليا، ونادى آخرون بالتخلي عن العقل بغية الحفاظ على الدين، لكن الأكثرية كانت ترغب في التوفيق بينهما، **لقد نشط أتباع المذهب الربوبي في الدعوة إلى العقل حتى أصبح الكثيرون يعتقدون بأن المسيحية في نهاية المطاف خرافة، وهذا دليل على انتشار الروح النقدية التي كادت تنفرد بالميدان، ويقول المذهب الربوبي بأن العقل وحده قادر على القيادة للفهم الصحيح للدين والأخلاق دون الحاجة للوحي أو الإلهام**، وكان فولتير يفضل استعمال مصطلح موحد على مصطلح ربوبي، وكان اعتقادهم ــ أي الربوبين ــ بأن الله موجود ولكن من الخير للناس أن يؤمنوا على الأقل بأن الله يثيب الفضيلة ويعاقب الرذيلة، أي اعبد الله وكن عادلاً، وأن الكهنة والميتافيزيقيين الظلاميين قد أفسدوا رسالة المسيح البسيطة ... ويستطرد الربوبين بقولهم:(ونحن عندما نطيح بأولئك المرشدين الكاذبين المضللين، فآنذاك سيسود التسامح ...وأن الناس بإرشاد الفلاسفة سيعبدون الله بصورة منتظمة، لقد أثرت حدة الجدال والشك في ازدياد عدد الملحدين[2].

لقد جنى فولتير ثمار عصر التنوير الانجليزي فقد أقام في انجلترا ثلاث سنوات (1726- 1729م) درس خلالها الفلسفة الإنجليزية والأدب والسياسة وكانت فترة حاسمة أسهمت في تكوينه – فقد ذهب إليها شاعراً وعاد فيلسوفاً – وقد أعجب بالديمقراطية الانجليزية أيّما إعجاب، كما أعجب بإسحق نيوتن* (Isaac Newton)، ونشر كتابه المعنون بـ (رسائل عن الأمة الانجليزية)[3].

1 دونالد سترومبرج ، مرجع سابق، ص 172.

2 دونالد سترومبرج، المرجع نفسه، ص 178.

* إسحق نيوتن عالم انجليزي ولد سنة 1642 وتوفي سنة 1727موهو يعد من أبرز العلماء مساهمة في الفيزياء والرياضيات وهو من أحد رموز الثورة العلمية ، انظر جيل كريستيانسن، إسحاق نيوتن والثورة العلمية، تعريب مروان البواب، مكتبة العبيكان، الرياض، 2005م.

3 أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1989م، ص 180.

عاد فولتير إلى فرنسا مبشراً بالمذهب التجريبي بعد أن اقتنع به، وهو المنهج الذي اتفق عليه جون لوك John Locke[1] ونيوتن مناديا بالاعتماد على التجربة والحساب،[2] ومعارضا لديكارت Rene Descartes[3]* (1596-1650م) الذي اعتمد في فلسفته على البداهة والاستنباط، والشك العلمي والتسليم المطلق بمبادئ النقد والتحليل، وأن العقل البشري قادر على إدراك الحقيقة، فعلامة الحقيقة عنده هي وضوح وتمييز الإدراك العقلي[4].

لقد تأثر فولتير بأفكار لوك عن الحرية والتسامح، وظلّ جل وقته يهاجم كل تعصب ديني وينادي بالحرية كما كان مهتما بالمذهب التجريبي، وقد أثّر في كثير من المثقفين فكانت السيدات المثقفات والمؤمنات بمذهب نيوتن يتسارعن لدحض الديكارتية (الشك العلمي والإيمان المطلق بمبادئ النقد والتحليل)، لقد تحول فولتير إلى دراسة الرياضيات والكتابات الفلسفية، واستقر به المقام في بلدة كيري حيث سكن مع محظيته المركيزة **دي شاتلي*** التي كانت تتمتع بمواهب فكرية لامعة، وقراءة ناقدة كان لها أبلغ الأثر في تحفيز فولتير لتحقيق قراءة

1 -هو فيلسوف تجريبي وأستاذ جامعي وطبيب ومُفكر سياسي بارز من رواد النهضة الفكرية والسياسية والتربوية الحديثة خلال القرن السابع عشر. من مؤلفاته كتاب معقولية المسيحية. للاستزادة انظر: فاروق عبدالمعطي، جون لوك من فلاسفة الإنجليز في العصر الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

2 يوسف بطرس كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة الخامسة، ص 188.

* ديكارت فيلسوف استند في كتابة التاريخ إلى الشك العلمي والتسليم المطلق بمبادئ النقد والتحليل. عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، (المدار الإسلامي، بيروت، 2004)، ص 106.

4 كاري هاتفيلد (Hatfield,Gary)، رينيه ديكارت، موسوعة ستانفورد للفلسفة، ترجمة علي الحارس، مجلة حكمة،2021، ص 23.

* شاتلّيه، ماركي دو (1706-1749م). كاتبة فرنسية في مجالات الرياضيات والفيزياء والعلوم. أسهمت في إحياء العلوم الفرنسية بتبني نظريات عالم الفيزياء البريطاني إسحق نيوتن. وأثرت في أعمال فولتير، أحد كبار المؤلفين والفلاسفة الفرنسيين.

بدأت دو شاتليه شرحًا لأعمال نيوتن عام 1735م بمقالة عن اكتشافاته في علم البصريات. وقد ضمن فولتير بعضًا من كتاباتها الأخيرة عن نيوتن في كتابه عناصر فلسفة نيوتن (1738م). قامت دو شاتليه من عام 1745م إلى 1749م بترجمة وعرض تحليلي لأهم أعمال نيوتن مبادئ الرياضيات. نشرت الترجمة عام 1759م بعد وفاتها.

ولدت دو شاتليه باسم جابريل إميلي لو تونلييه دو بريتويه في باريس. تلقت تعليمًا رفيعًا في الأدب والعلوم. في عام 1724م، تزوجت فلوران كلود ماركيز دو شاتليه حاكم سمور ـ أن ـ أوكزواه. الموسوعة العربية العالميةhttps://mawsoati.com/new/034155_1.htm

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

جديدة للتاريخ قائلةً: (...ألوف من روايات تسرد معارك لم تحقق شيئاً، أي فائدة لسيدة فرنسية مثلي أن تعرف أن إكلي خلف هاكان في السويد، وأن عثمان كان ابن أرطغرل...))[1].

لقد أصبح فولتير موفور الثروة وبالغ الثراء فبالإضافة إلى مواهبه العقلية، كان يتمتع بموهبة جمع المال حيث كان يستثمره بذكاء، ويجني دائما الفوائد ولم يتعرض أبدا للخسارة، لكن تجارته وثروته لم يصرفاه عن المطالعة والكتابة.

وكان نشْر فولتير كتابه الرسائل الفلسفية سنة 1733-1734 بمثابة تدشين لانطلاق عصر التنوير، فقد عادت البعثات الخارجية سنة 1736، التي كانت تؤكد صحة نظرية نيوتن، وقد علق فولتير على ذلك بسخريته المعهودة قائلا: (يبدو أن الإنسان في فرنسا كي يكون مواطنا صالحا ينبغي أن يكون مؤمنا بدوامات ديكارت)، وكان فولتير يغتنم كل فرصة ليظهر التناقض بين فرنسا وانجلترا التي أنجبت نيوتن ولوك، ولكنها أنجبت قبل وفوق كل شيء الحرية ، حيث ينتصب المواطن الانجليزي الحر والنافع والفاضل نقيضا للأرستقراطية الفرنسية الكسولة والغارقة في اللذات[2]. وقد أثرت السيدة شاتليت في فولتير أيّما تأثير وقد نشرت شرحا لنظرية نيوتن...

كان من الكتب التي ألفها فولتير **كتاب عصر لويس الرابع عشر**، وألف كتاب مقالة في الآداب ويعد أول محاولة جادة لوضع تاريخ عام للثقافة، وقد اعترف فيها صراحة بفضل الثقافة العربية على الحضارة الغربية.[3]

وكان لفولتير أثر كبير على قيام الثورة الفرنسية عام 1789م لقد بدا أثر الثقافة الانجليزية واضحا على طبيعة فولتير فقد تحدث في كتابه **رسائل عن انجلترا** عن الحرية الدينية عند الإنجليز وأن :(... الإنجليزي كرجل يذهب إلى السماء من الطريق الذي يروقه...)[4]، وبالنسبة للحرية السياسية، يقول إن انجلترا هي البلد الوحيد على سطح الكرة الأرضية الذي تحجم سلطة الملوك فيه، فالحاكم تترك له كل السلطة لفعل الخير وفي نفس الوقت تكبل يديه عن فعل الشر[5].

1- Paul Sakmann, The Problems of Historical Method and of Philosophy of History in Voltaire 1906.

نقلا عن الطيب بوعزة، كيف يقرأ الفيلسوف التاريخ، https://nohoudh-center.com/articles/

2 – فولتير، رسائل فلسفية، مرجع سابق، ص 101-106.

3 – عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص 106.

4 – فولتير، رسائل فلسفية، مرجع سابق، ص 53.

5- عارف عادل مرشد، ملامح من الفكر السياسي عند فولتير، مجلة فيلادلفيا الثقافية جامعة الزرقاء الأردن العدد 40 ، ص 3.

ثانياً/ فلسفة التاريخ عند فولتير:

انتقد فولتير النظرة التقليدية لمفهوم التاريخ ،حيث كان ينظر للتاريخ على أنه مجرد سرد للأحداث السياسية وأمجاد للقادة وانتصاراتهم في الحروب، ويقول عن العصور الوسطى: (إنها ثمرة العقلية الخرافية الأكثر بشاعة في تاريخ البشرية)[1]، وقد نادى بإعادة دراسة أحداث التاريخ في العصرين القديم والوسيط الذي يحتوي الكثير من الأساطير والروايات والمغامرات، حيث يرى أن التاريخ بدايته سرديات يسردها الآباء للأبناء حتى تنمو الأسطورة وتقل فيها الحقيقة، فدعا لتمحيص الأخطاء ودراستها من خلال السجلات المكتوبة الباقية والآثار والتي كانت أصدق مادة لصنع تاريخ قديم قبل أقدم المؤرخين،[2] وينتقد فولتير سيطرة الكنيسة والحكم الملكي المطلق على تاريخ عصره فيقول: (أنه مجرد روايات عن تاريخ الحروب والتمجيد للملوك والقادة المنتصرون في الحروب التي خلفت ورائها جرائم جد بشعة ، وينتهي إلى القول بأن تاريخ عصره لا شيء سوى مجموعة من الأباطيل والخدع التي نكذب ونلعب بها عن الأموات وتحول الماضي ليتناسب مع رغباتنا في الحاضر والمستقبل)[3].

لقد قدم دعوة للاهتمام بالتاريخ العالمي، تاريخ الحضارات بدلا من القادة والملوك موجها للاهتمام بتاريخ العلم والعقل موجها لدراسة تاريخ الشرق ، وما رواية زديخ أو صادق إلا نقد للحياة السياسية والاجتماعية في أوروبا وفرنسا متخذا رموزا شرقية، ناقدا المسلّمات بأسلوب شيق[4].

يرى فولتير أن التاريخ هو سرد للوقائع التي نعتبرها حقيقة، بعكس الأسطورة التي هي سرد لوقائع نعتبرها زائفة، وهنا يفرق فولتير بين التاريخ الحقيقي والأسطورة[5].

كان فولتير يتبع للمنهج النقدي في دراسة التاريخ مجاهرا بالنقد الشكاك غير مكترث بأحد، فقد استعمل النقد لتفنيد الخرافات التي أتى بها رجال الكنيسة، ثم انتقد المسيحية ذاتها ونادى باحترام الروح العلمية، وأن

1 –هاشم صالح ، مدخل إلى التنوير الأوروبي، بيروت، دار الطليعة للنشر ،2005،ص237.

2 فولتير، قاموس فولتير الفلسفي، ترجمة يوسف نبيل،(هنداوي ، المملكة المتحدة،2017) د ط، ص 163.

3 – مريم بن عطا الله، مرجع سابق، ص67.

4 فولتير، زديخ أو القضاء1748 ، ترجمة طه حسين، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الضيافة، 2006، ص29.

5 فولتير، قاموس فولتير الفلسفي، مرجع سابق، ص 160.

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

يكون العقل سيد الموقف وليس التكرار والنقل فكل شيء يجب أن يفحص فحصاً نقدياً وأن يوزن بميزان العقل[1].

كما كان كتابه تاريخ شارل الثاني عشر 1731م عبارة عن عرض بارع مستنير لسيرة الملك السويدي، وكتابه عصر لويس الرابع عشر 1751م الذي لم يتقيد فيه بالترتيب الزمني الدقيق وكان كتابه مقالة في الآداب يعد أول محاولة جادة لوضع تاريخ عام للثقافة، وقد اعترف فيها صراحة بفضل الثقافة العربية على الحضارة الغربية، وكان يتناول الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية ، وكان يعارض ما غلب على التاريخ من تعليل الأحداث بعلل غيبية، لقد أثر فولتير بنزعته العقلية وروحه الفياض في الفلاسفة المؤرخين أمثال ديفيدهوم (1711-1776) الفيلسوف والمؤرخ الاقتصادي البريطاني ، ووليم روبرستون (1721-1793) المؤرخ الاسكتلندي صاحب كتاب تاريخ عهد الإمبراطور شارل الخامس، وإدوارد جبون (1737-1794) وهو مؤرخ انجليزي صاحب كتاب تاريخ اضمحلال وسقوط الدولة الرومانية، وغيرهم ممن اتفقوا بأن التاريخ تعليم للفلسفة بضرب الأمثال، وأن منهج البحث عندهم يحوم حول تمحيص المصادر الأصلية ونقدها ، وكانوا أميل إلى الشروع في الكتابة قبل اتمام التمكن من المصادر، وقد أطلق عليهم لقب المؤرخين التعقليين .[2]

لقد سعى فولتير لتلقين الفرنسيين كيف يتم اتخاذ موقف نقدي إزاء التقاليد القديمة، واللجوء إلى سلاح الهدم الذي هو الجدل ، ويبين لهم كيف ينبغي أن يتصرفوا لجعل المعطيات المجردة محسوسة، وكيف يتساءل الإنسان عن الأشياء التي من حوله، وكيف يكتشف المتناقضات، إنه كان يدعوهم إلى الاستقلال الفكري ، وأن يكون كل انسان مستقل فكريا يفكر كيف يشاء ، إنه يدعوهم لعصر النور إلى عصر العقل، وهذه القدرة النقدية هي العنصر الأساسي الذي يميز العقل البشري، وباستخدام العقل والنقد يكون الانسان مستنيرا مجردا من الأفكار المسبقة، إن فولتير يرى أن يتم توجيه الجدل إلى اللا معقول وأن استعمال النقد يكشف مدى لا معقولية العقائد الدينية ومدى تناقض الحجج اللاهوتية.[3]

ناهض فولتير الدين وناهض الزندقة، وسعى إلى تحرير الإنسان من كل قيد[4]، وجعل لكل فرد استقلاله العقلي مناديا بالحرية، فقد أعجب بالحرية عند الإنجليز ونادى بالتسامح الديني وحرية العبادة والمساواة، وكتب عن الحرية في انجلترا وأنه لا أحد يمكنه أن يفقد حريته بأي سلطة من السلطات، ولا أحد يعاقب دون محاكمة

1 – هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، مرجع سابق، ص 233.

2 هنرشو، علم التاريخ ، ترجمة وتعليق عبدالحميد العبادي،(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د م ،1944)، ص ص 64-65

3 عوض بالقاسم علي يونس: دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات ، جامعة عين شمس، العدد 17، الجزء الأول 2016، ص 6.

4 جان فال، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، ترجمة مارون خوري،(عويدات، بيروت – باريس،1988) ص 52.

وقد رأى حرية كاملة للكتابة والخطابة والصحافة ، وأن انجلترا البلد الوحيد الذي تحجم فيه سلطة الملوك، فالحاكم تترك له السلطة لفعل الخير وفي نفس الوقت تكبل يديه عن فعل الشر[1].

لقد اعتبر فولتير أن الخرافات من صنع وابتكار القساوسة والكهنة، وصب هجومه على التدخل الكنسي في شؤون الحياة اليومية للفرنسيين ، وانتقد الكنيسة الكاثوليكية التي لا تعرف التسامح ، ولا يزال يتغنى بفضائل ومميزات المجتمع الانجليزي، وينتقد فرنسا والفرنسيين كونهم يأنفون طريق العقل والتسامح الديني[2].

آمن فولتير بأن المفكر الحر ليس له إلا معبود واحد اسمه العقل، لقد رأى فولتير أنه منذ تأسيس المسيحية تجد الفوضى والثورات والجرائم ونرى المذابح والمآسي تتكرر، ولذلك وجب على الفلاسفة أن يتحدوا ضد الكنيسة بأفكارها الظلامية، وأن تعمل آلاف الأقلام ولتعلوا آلاف الأصوات ، حيث يقول يبغضني أن أموت قبل أن أرى طلائع العهد الجميل الذي ستنعمون به عهد العقل، إن فولتير يجعل قيمة الانسان في التفكير، والتجرد من الأوهام[3].

يرجع بعض البحاث إلى أن فولتير هو أول من استعمل لفظ فلسفة التاريخ، وهنا يقصد فولتير دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف، أي دراسة عقلية ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير والمبالغات ، وقصد تعديل التاريخ من العسكري والسياسي إلى فلسفة الحضارة أي التوسع من دراسة أخبار الوقائع إلى دراسة الحضارات ، وقد قال فولتير : " إن بعض المؤرخين قد شغلوا أنفسهم بأخبار المعاهدات والمعارك ، لكن بعد قراءة الكثير منها لم أجد نفسي بعدها أكثر حكمة من قبلها، وأن مجال التاريخ يجب أن يتسع ليتبع سير العقل البشري في الفلسفة والبلاغة والتصوير...". ويقول: إن الساسة لا يخلو منهم قرن بينما العظماء أمثال نيوتن يجود بمثلهم الزمان مرة كل عشرة قرون[4].

ويشار إلى القرن الثامن عشر على أنه عصر التنوير ويقصد بذلك سيادة فلسفة عقلية تجريبية مادية ترفض الميتافيزيقيا ولا تقدس الدين ، وتهتم بالرياضة والفلك والطبيعة والكيمياء والجغرافيا والطب، لقد صاحب تطور

1 عارف عادل مرشد، مرجع سابق ، ص 3.

2 – صليحة بوزيد ، فلسفة عصر التنوير في فرنسا ودورها في تطور الفكر الاستعماري، مجلة قضايا تاريخية، العدد 15، سبتمبر 2021م، ص37.

3 عوض بالقاسم علي يونس، ص 7.

4 رحاب صلاح الدين الحسن، طبيعة الحقيقة التاريخية بين الفلسفة الغربية والفكر الإسلامي دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة،(جامعة الخرطوم، السودان، 2005م)، ص 31.

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

العقلية الأوربية والكشوف العلمية تطور في دراسة التاريخ وحلت فلسفة الحضارة محل دراسة تاريخ الأحداث السياسية، وقد كافح فولتير ضد طغيان الكهنة ورجال الدين وكان دائما مهتما بالجانب الإنساني ساعيا إلى أن يجعل الناس أقل سخافة وأكثر شرفا، ويرى بأن الجوع هو الذي يدفع الإنسان إلى تغيير الأوضاع السياسية [1].

لقد جردت دراسة التاريخ النقدي الفكر الإنساني من العبودية والخرافة والغباء، واهتم فلاسفة التنوير بدراسة الحضارات يقول فولتير: "أي حكمة تكسب من العلم بسيادة حكم طاغية على شعب بربري [...] إن مجال التاريخ يجب أن يتسع لما هو أهم من ذلك ليتبع سير العقل البشري في الفلسفة والبلاغة والشعر والنقد، في التصوير والنحت في الموسيقى والرسم، حتى في النسيج وصناعة الساعات[...] وإن سئلت أي الرجال أعظم الاسكندر أم قيصر أم تيمورلنك، لأجبت إن إسحق نيوتن هو أعظمهم جميعا...[2]" إن التاريخ الحق هو تاريخ العلم ، لأنه يكشف عن تقدم العقل البشري ومن ثم يجب أن يكون شغلنا في التاريخ أن نتتبع الاكتشافات، لقد نادى فولتير بسيادة فلسفة عقلية تجريبية مادية ترفض الميتافيزيقيا ولا تقدس الدين وتنادي بالاهتمام بالتاريخ كونه يعتبر مظهرا من مظاهر الاهتمام بالإنسان[3]. لقد مثل فولتير المؤرخ العقلاني في منهجه الذي أصبح يتجه نحو التاريخ الشامل الذي يمس كل جوانب الحياة الإنسانية والمادية والثقافية ، وإن كتب التاريخ السياسي فإنه يكتب بوجهة نظر نقدية[4].

الخاتمة:

1. اعتبر فولتير أن الخرافات من صنع وابتكار القساوسة والكهنة فاتبع المنهج النقدي في دراسة التاريخ مجاهرا بالنقد الشكاك غير مكترث بأحد، فقد استعمل النقد لتفنيد الخرافات.
2. قدم دعوة للاهتمام بتاريخ الحضارات بدلا من القادة والملوك موجها للاهتمام بتاريخ ما وصل إليه العقل البشري من تطور، فأخبار الحروب والمعاهدات لا تزيد من حكمة الإنسان.
3. إن التاريخ الصحيح هو التاريخ العلمي ، أي دراسة الآثار العلمية وليس الشخص الحاكم.
4. منهج البحث التاريخي يقوم حول تمحيص المصادر الأصلية ونقدها ، وعدم الشروع في الكتابة قبل إتمام التمكن من المصادر.

---

1 بن غباش فريدة وبن غدير سمية، مشكلة الحرية في فلسفة فولتير، رسالة ماجستير غير منشورة،(جامعة قاصدي مصباح، ورقلة، 2019م)، ص 14.

2 فولتير، الرسائل الفلسفية، مرجع سابق، ص 69.

3 رحاب صلاح الدين الحسن، مرجع سابق، ص ص 81-151.

4الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة،(دار التنوير، لبنان،2013)الطبعة الأولى. ، ص 65.

5. دعا فولتير لتمحيص الأخطاء ودراسته من خلال السجلات المكتوبة الباقية والآثار والتي كانت أصدق مادة لصنع تاريخ.

6. كان نتاج هذه الصحوة العقلانية كمرحلة في تطور الفكر التاريخي.

قائمة المصادر:

أولاً- الكتب المعرّبة/

1. فولتير، رسائل فلسفية، ترجمة عادل زعيتر، بيروت، التنوير للطباعة والنشر، 2014م.
2. أندريه كريسون، فولتير حياته وفلسفته، ترجمة صباح محي الدين،(عويدات، بيروت- باريس،1984).
3. جان فال، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، ترجمة مارون خوري،(عويدات، بيروت - باريس،1988).
4. جيل كريستيانسن، إسحاق نيوتن والثورة العلمية، تعريب مروان البواب، مكتبة العبيكان، الرياض، 2005م.
5. فولتير، أوديب أو السر الهائل، تعريب نجيب الحداد، الإسكندرية، جرجي غرزوزي،1905م.
6. فولتير، زديخ أو القضاء1748 ، ترجمة طه حسين، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الضيافة، 2006.
7. فولتير، قاموس فولتير الفلسفي، ترجمة يوسف نبيل،(هنداوي، المملكة المتحدة، 2017).
8. كاري هاتفيلد(Hatfield, Gary)، رينيه ديكارت، موسوعة ستانفورد للفلسفة، ترجمة علي الحارس، مجلة حكمة،2021م.
9. هنرشو، علم التاريخ ، ترجمة وتعليق عبدالحميد العبادي،(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د م، 1944).

ثانياً- الكتب العربية:

1. أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1989م.
2. بهات عبدالله و المجيدري لحبيب، النظام الفيودالي: الخصائص والمميزات، جامعة ابن زهر، أغادير، 2004-2005.
3. دونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوربي الحديث 1601-1977،(القارئ العربي، القاهرة،1994) الطبعة الثالثة.

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)

4. عبدالواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، (دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004).
5. هاشم صالح ، مدخل إلى التنوير الأوروبي، بيروت، دار الطليعة للنشر ،2005.
6. الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة،(دار التنوير، لبنان،2013)الطبعة الأولى.
7. فاروق عبدالمعطي، جون لوك من فلاسفة الإنجليز في العصر الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
8. يوسف بطرس كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة الخامسة.

ثالثاً/الرسائل العلمية:

1. بن غباش فريدة وبن غدير سمية، مشكلة الحرية في فلسفة فولتير، رسالة ماجستير غير منشورة،(جامعة قاصدي مصباح، ورقلة، 2019م)، .
2. رحاب صلاح الدين الحسن، طبيعة الحقيقة التاريخية بين الفلسفة الغربية والفكر الإسلامي دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة،(جامعة الخرطوم، السودان، 2005م).
3. مريم بن عطا الله، التراث والتنوير في فلسفة فولتير، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2020-2021م.

رابعاً/البحوث العلمية:

1. صليحة بوزيد ، فلسفة عصر التنوير في فرنسا ودورها في تطور الفكر الاستعماري، مجلة قضايا تاريخية، العدد 15، سبتمبر 2021م.
2. عارف عادل مرشد، ملامح من الفكر السياسي عند فولتير، مجلة فيلادلفيا الثقافية جامعة الزرقاء الأردن العدد 40.
3. عوض بالقاسم علي يونس، دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات جامعة عين شمس، العدد 17، الجزء الأول، 2016.

خامساً/المواقع الإلكترونية:

1. أذ أوكزواه. الموسوعة العربية العالمية https://mawsoati.com/new/034155_1.htm
2. الطيب بوعزة، كيف يقرأ الفيلسوف التاريخ، https://nohoudh-center.com/articles/

An Overview of Voltaire's Philosophy of History

Hamzah Abdulsalam Zaweid

Abstract

The paper aims to shed light on one of the stages of the development of historical thought, which is the transition of thinking from metaphysics and the control of church men over thought to the overthrow of every absolutist and his criticism, and one of the most prominent men of thought who carried the banner of confrontation was Voltaire, so his philosophy was a new approach that produced rationality that returned everything to the human mind, and the rational historian became an advanced stage in the interpretation of history, and the researcher followed the historical approach based on narrative, criticism and analysis, and the study concluded that Voltaire was influenced by several factors that made him carry the banner of confrontation and modernization; among them, freedom to England, and he advocated that the correct history is scientific history and that the historical research approach should be based to scrutinize and criticize the original sources, to study history through the surviving written records, the monuments of which were the truest material for making history.

Keywords: philosophy of history, Voltaire, rationalism, modern history

ISSN 2710-4478 (Online) ISSN 2710 -446× (Print)